

دولة جنوب افريقيا (مرحلة التأسيس والنشوء)

الكلمات المفتاحية / (دولة جنوب افريقيا)

م . د سهير عواد ايوب

دبي / دولة الامارات العربية المتحدة

State of south Africa . its establishment and development

Key words /African National Congress(ANC)

Dr .Suhair Awad Auob

Dubai – United Arab Emirates

ملخص البحث :

ان الهدف من هذه الدراسة هو التوسع في ميدان الدراسات الافريقية نظرا لندرتها في بلداننا العربية ، اما المنهج الذي اتبع فهو المنهج الوصفي التحليلي مع الاستعانة بالمنهج المقارن .

جاء تقسيم الدراسة الى خمسة مباحث ، تناول المبحث الاول موقع جنوب افريقيا في القارة الافريقية ، وتصنيف فئات السكان في الجنوب الافريقي .

ابرزنا في المبحث الثاني تاريخ الاستيطان الهولندي والانكليزي في جنوب افريقيا . وتطرقنا في المبحث الثالث الى اكتشاف الثروات المعدنية والطبيعية في جنوب افريقيا ، ومدى تكالب الاستعمارين الهولندي والانكليزي في السيطرة عليهما ، ومن ثم تسخير السكان الاصليين كايدي عاملة وباجور بخسة .

كما وضح المبحث الرابع للقارئ حكم الاقلية البيضاء في جنوب افريقيا وتشكيل اول اتحاد في العام ١٩١٠ بعد سيطرة البريطانيين على مقاليد الحكم لحين سيطرة الحزب الوطني على السلطة في العام ١٩٤٨ بزعامة الدكتور دانيال مالان وعلان سياسة التمييز العنصري .

وتطرق المبحث الخامس الى البدايات الاولى لانبثاق اول حركة سياسية للسود في جنوب افريقيا في العام ١٩١٢ ممثلة بالمؤتمر الوطني الافريقي هدفها الرئيسي الدفاع عن حقوق السكان الاصليين المشروعة في بلادهم ، حيث مرت الحركة بعدة مراحل تمهيدية بدء من العام ١٨٨٢ ولغاية العام ١٩١٢ .

المقدمة :

التاريخ يبدأ ولا ينتهي لكونه حركة ازلية مستمرة ، ولا يمكن فهم العلاقات الدولية دون دراسة واعية وشاملة لحياة الامم والوعي بتاريخها القديم والحديث ، لذلك اقتصر بحثي هذا على مرحلة مهمة فارقة في تاريخ جنوب افريقيا ، وهي فترة النشوء وتكوين الدولة الحديثة التي شهدت عملية مخاض عسير وصراع مرير في أن تكون او لا تكون ، وهي مرحلة صراع عنيف بين غازي محتل ، وشعب ينظر بعين واثقة الى مستقبله ، حدد لنفسه الهدف وانطلق لتحقيقه بقيادة نخبة نذرت نفسها لتحرير الأمة وبين مد وجزر استطاعت هذه النخبة خلال عشرات السنين من النضال السياسي والعسكري والتحالفات الاقليمية والدولية ان تصل الى خط النهاية بعد مواجهات صعبة في مقارعة الفصل العنصري في جنوب افريقيا ، الذي كان الهدف الاول بعد خط الشروع والذي لم يكن انذاك سهل المنال .

Abstract:

This study aimed at expanding African Studies in the Arabic countries, especially for the most important country such as South Africa and several others yes indeed , such studies were and still very scarce.

in to five topics : the location of this country within the African Continent and the classification of the population groups . We focused also at the history of Dutch and British settlement in South Africa and the discovery of mineral and other natural resources and their exploitation by those colonists who took full control of the country.

We also discussed in this study a very important issue which is related to the introduction for the first time of the white minority in this country and the formation of the first Union in 1910 after the full control of the reins of power at 1948 the date of the control of the National party under the leadership of Daniel Malan followed by the adoption and the proclamation of the Racial Discrimination in the country

we discussed also the first Black political movement in South Africa (1882-1912)who passed through several difficult stages the most important one was under the African National Congress, who declare that its main aim is to defend their rights of the legitimate national interests in their co

المبحث الاول : الموقع والسكان

في أقصى القارة الأفريقية السوداء ، تقع جمهورية جنوب أفريقيا ما بين دائرتي عرض ٢٢ و ٣٥ جنوبا وخطي طول ١٧ و ٣٣ . وتطل من جهة الجنوب والجنوب الغربي على المحيط الأطلسي ، ومن جهة الشرق على المحيط الهندي ، وتحدها من الشمال والشمال الشرقي والغربي ناميبيا ، ولوتسوانا ، وزمبابوي ، وسوازيلاند ، وموزمبيق (١) (هاشم الجنابي ، طه الحديثي ، ١٩٩٠ ، ص٧١٢) .

ويعود تأسيس جمهورية جنوب أفريقيا الى ٣١ مايس ١٩٦١ بعد انفصالها عن الكومنولث البريطاني والتي تبلغ مساحتها ١.٢٢١.٠٣٧ كم مربع ، حيث كانت تسمى انذاك "اتحاد جنوب افريقيا " (٢) (البغدادي ، ١٩٩٩ ، ص١) .

ومن أشهر مدنها بريتوريا العاصمة الإدارية وكيب تاون العاصمة التشريعية وبلومفونتين العاصمة القضائية ومدينة جوهانسبيرج العاصمة الصناعية والتجارية التي تعد من اكبر وأشهر مدنها . أما لغاتها الرسمية فهي الإنكليزية والأفريكانزوهي خليط من اللغة الهولندية ولغة البانتو ، فضلا عن اللغات الإفريقية المحلية (٣) (البغدادي ، محاضرات عن جمهورية جنوب افريقيا ، ص٤) .

يتكون مجتمع دولة جنوب افريقيا من عدة اجناس واعراق مختلفة فهو مجتمع معقد في تركيبه واجناسه وهي كالاتي :

أ- الأفريقيون : وهم سكان البلاد الاصليين من الأفريقيين الجنوبيين الناطقين بلغات البانتو ، ويشكلون حوالي ٧٠% من مجموع السكان .ومن أهم القبائل الأفريقية الزولو والاكسهوزا والسوثر الغربيون ، والسوثر الشماليون والسوثر الجنوبيون ، والسوازي ، والندبلي ، وقبائل الفاندا ، والسنغان – تسونغا ، والبوشمن ، والهونتوت .

ب – البيض : وتشكل نسبتهم حوالي ١٧,٥% وينقسمون الى مجموعتين :

١ – الأفريكانرز : وهم المنحدرون من اصل هولندي بالدرجة الاساس ، ويتكلمون اللغة الأفريكانية والتي لم يعترف بها رسميا الا في العام ١٩٢٤ .

٢ – الانكليز : وهم المنحدرون من اصول بريطانية ويتكلمون اللغة الانكليزية (٤)

“ The Encyclopedia Americana ,1980,pp262 -266”

٣ - اليهود : وهم اقلية هاجرت من اوربا الشرقية وجمهوريات استونيا ولاتفيا ولتوانيا الواقعة ضمن الاتحاد السوفيتي المنهار ، وينحدرون من اصول اوربية مختلفة (٥) (البغدادي ، الاقليات اليهودية ، ١٩٨٩ ، ص ٤٥٠) .

ج - الملونون : وقد انحدروا من اصول عرقية متمازجة ما بين الهولنديين والماليزيين وسكان البلاد الاصليين من البانتو والهونتوت والبوشمن . يستقر الملونون في مدينة الكاب ويتحدثون اللغة الافريكانية ، وذلك بسبب علاقاتهم مع الهولنديين (الافريكانرز) وتكون نسبتهم حوالي ٩,٥ % من مجموع السكان .

د - الاسيويون : ويكون اغلبهم من الهنود حيث قدموا الى افريقيا الجنوبية عمالا متعاقدين محترفين منذ العام ١٨٦٠ للعمل في مزارع السكر ، فضلا عن التجار الهنود الذين قدموا الى ناتال ومارسوا التجارة هناك ان الهنود من الهندوس والمسلمين يتكلمون عددا من اللغات الهندية مثل التاميل ، والكوجاراتية فضلا عن اللغة الانكليزية ، ويؤلفون حوالي ٣% من مجموع السكان (١)

“ The Encyclopedia Americana, Vol.25, pp.262-266”

المبحث الثاني : الغزو الاوربي لجنوب افريقيا

بدات طلائع الغزو الاوربي للقارة الافريقية السوداء منذ ثمانينات القرن الخامس عشر عندما بدات اوربا تبحث عن طريق للوصول الى كنوز الشرق والاستحواذ على تجارتها ، وهنا تمكن بارتليمودياز من اكتشاف منطقة الكاب ممهدا الطريق للرحالة البرتغالي فاسكوديكا للوصول الى راس العواصف في العام ١٤٩٧ والذي اطلق عليه فيما بعد اسم الرجاء الصالح (٢) (غي دويوشير ، ٢٠٠٠ ، ص ١٤٤) .

ولكن البرتغاليين لم يستقروا في منطقة الكاب وانما جعلوها محطة للاستراحة والتزود بالمؤن اللازمة لمواصلة الطريق نحو الهند (٣) (قنديل ، ٢٠٠٠ ، ص ١٤٤) .

وظهر منافس جديد لم يكن في حسابان البرتغاليين وهم الهولنديون الذين نافسهم في السيطرة على الملاحة والتجارة الشرقية والاستحواذ على ممتلكات البرتغاليين الواحدة تلو الاخرى ، وذلك بعد تاسيس شركة الهند الهولندية الشرقية في العام ١٦٠٢ (٤) (ابراهيم خليفة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٢) .

من هنا تبدا قصة الهولنديين مع جنوب افريقيا ففي ١٦٤٨ دمرت العواصف سفينة هولندية في خليج تيبيل عند مدينة الراس مما اضطر بحارتها الى النزول في هذه المدينة والبقاء فيها مدة من الزمن ، وتمكن هؤلاء البحارة من اكتشاف المنطقة ودراستها عن كثب وتوصلوا الى نتيجة مفادها ان هذه المنطقة يمكن ان تكون افضل محطة ستراتيجية ، ويمكن ان توفر لهم ما يحتاجه البحارة الهولنديون من المؤن والمواد الغذائية الطازجة التي تعينهم على مواصلة الطريق نحو الهند بافضل حال (٥) (يوسف كمال ، ١٩٢٨ ، ص ٢٢) .

وبعد عودة هؤلاء البحارة الى بلادهم استطاعوا اقناع شركة الهند الشرقية الهولندية بانشاء تلك المحطة لكي تكون موقعا ثابتا وستراتيجيا .

وفعلا قررت الشركة الذهاب الى هناك وانشاء تلك المحطة ، ففي العام ١٦٥٢ ابحرت ثلاث سفن بحرية هولندية بقيادة فان بان ريبك وكان هدف المستعمرين الاوائل التزود بالماء والمواد الغذائية (١) (غي دو يوشير، ص٢٠٠) .

هذه هي البذرة الاولى لنشوء اول استعمار استيطاني في هذه المنطقة والتي كانت لعنة قوية سلطت على رقاب الافريقيين لمدة اكثر من ثلاثة قرون عانى فيها الافريقيون شتى انواع العذاب والظلم والجور .

بدا الهولنديون بالتوافد على منطقة الكاب فمنهم من كان تابعا لشركة الهند الشرقية الهولندية ومنهم من هرب من احكام صدرت بحقه في بلادهم ومنهم من عانى من الاضطهاد الديني .

وعلى اية حال استطاع الهولنديون ان يشقوا طريقهم في جنوب افريقيا وممارسة حياتهم بشكل طبيعي فامتحن هؤلاء الزراعة والرعي ولم تكن هذه المنطقة خالية من السكان فاصطدم هؤلاء بسكان البلاد الاصليين من البوشمن والهونتوت (٢) (الصقار ، ١٩٦٢ ، ص٧٢) .

لم يختلف البوشمن عن الهونتوت كثيرا فكلاهما من السكان المحليين وكلاهما يمتنان الزراعة والرعي ، عمل هؤلاء في خدمة موظفي الشركة الهولندية وكانت العلاقة بينهما علاقة السيد بالخدام (٣) (ابراهيم خليفة ، ص٢٣) .

وكان نتيجة هذا الاصطدام ان تعرضت قبائل البوشمن والهونتوت الى مذابح رهيبة من البويرز الهولنديين للاستيلاء على ارضهم وماشييتهم ، فما كان من هذه القبائل الا ان تصدت للغزو الوحشي ، لكن تفوق السلاح والامكانيات الحربية التي يمتلكها المستعمر ، كانت على درجة كبيرة من القوة والتفوق امام الجانب الاخر الذي يعاني من الحياة المتخلفة بكل صورها (٤) (عبد العزيز كامل ، ١٩٦٧ ، ص١١٠) .

وانتهت هذه المذابح بالقضاء على قبائل البوشمن من منطقة الكاب فمنهم من قتل ومنهم من هرب الى صحراء كلهاري ، اما الهونتوت فقد اضطروا للخضوع ان يكونوا عبيدا للمستعمر ، بعد فقدهم كل املاتهم من ارض وماشية ، وتزاوج الهولنديون مع نسايم نتيجة قلة النساء الهولنديات في تلك الديار ، مما ادى الى ظهور نسل جديد اطلق عليه اسم (الملونون) (٥) (الصقار ، ص٧٢) .

لكن الهولنديين لم يستقروا بسلام في جنوب افريقيا اذ زاحمهم قدوم البريطانيين في العام ١٧٩٥ الى منطقة الكاب ومعهم الارساليات التبشيرية الكبيرة لنشر الديانة المسيحية بين الافريقيين من ثم القيام بمهنة التعليم ، ونشر اللغة الانكليزية بوصفها اللغة الام للامبراطورية البريطانية (٦) (الفهد ، ١٩٨٥ ، ص٣٨٨) .

وهكذا تنازلت هولندا عن مستعمرة الكاب لبريطانيا مقابل ستة ملايين من الجنيهات (٧) (نوري السامرائي ، ١٩٨٧ ، ص٧٥) .

من هنا بدأت بريطانيا وبشكل رسمي باتخاذ التدابير اللازمة لوضع الاسس الادارية في مقاطعة الكاب ، وتشجيع الهجرة البريطانية فقد بلغ عدد المهاجرين البريطانيين في العام ١٨٢٠ خمسة الاف بريطاني واصبحت اللغة الانكليزية لغة رسمية وتاسيس مدينة جديدة عرفت بمدينة بورت اليزابيث كي تكون مقر البريطانيين في مستعمرة الكاب (١) (الفهد ، ص٣٨٨) .

وكان من الطبيعي ان تبدأ بريطانيا حياتها السياسية الجديدة محاولة اخضاع كل من الهولنديين والافريقيين لسيطرتها على حد سواء من خلال اتباع سياسة محنكة تخضع البيض الهولنديين وتحد من نفوذهم وسيطرتهم بالدرجة الاولى ومحاولة ارضاء القبائل الافريقية وخاصة قبائل الزولو والتي تعد من اقوى القبائل الافريقية لقوتها الحربية وشدة باسها بعدة وسائل منها دبلوماسية من خلال عقد المحالفات والمعاهدات تارة واعلان الحرب واخضاعها بالقوة تارة اخرى (٢)(الصقار، ص ٧٤).

فعملت بريطانيا منذ الوهلة الاولى على اعطاء بعض الحقوق السياسية والمدنية للافريقيين لكسر شوكة الهولنديين ولاعطائهم فكرة بان الحكم الجديد هو حكم بريطاني خالص وعلى الهولنديين اتباع سياسة حاكمهم الجديد ، في هذا الوقت بالذات ، اصدرت بريطانيا قانون الغاء الرق في العام ١٨٣٤ في جميع الممتلكات البريطانية والذي اضر بالهولنديين ضررا بالغاً حيث فقد الهولنديون كثيراً من عبيدهم الذين يعتمدون عليهم في زراعة الارض وتربية المواشي ، فضلا عن كثير من الاصلاحات اصدرها وزير المستعمرات البريطاني والتي تعطي حقوقا للافريقيين في امتلاك الارض والغاء قوانين حمل جوازات المرور(٣)(دونالد ويرنر، لا.ت، ص ١٩٣).

منذ هذه اللحظة بدأ الهولنديون يفكرون في الخروج من دائرة النفوذ البريطاني والتحرر من سيطرتهم فاتجه الهولنديون في العام ١٨٣٥ نحو الداخل تجرهم عربات الثيرا المحملة بالنساء والرجال والاطفال، حيث قدر عددهم ب ٢٠,٠٠٠ الف شخص في هجرة كبرى ليستقر بعض منهم في ناتال وليعبر البعض الآخر نهر الاورنج ويكون جمهورية جديدة سميت بدولة الاورنج الحرة ، ومن ثم عبروا نهر الفال وكونوا الجمهورية

البويرية الثانية في الترנסفال (٤) "Lepoint,Numero 909,p.30"

ولكن الهولنديين لم ينعموا بالاستقرار اذ لم يلبثو أن اصطدموا بقبائل الزولو التي لم تقبل بانتزاع ارضها وهي واقفة مكتوفة الايدي ، اذ دارت معارك حامية اطلق عليها بحروب الكافير مابين قبائل الزولو والهولنديين الحققت من خلالها القبائل الافريقية الخسائر الفادحة بالهولنديين ، وكان من اشهر هذه المعارك معركة سميت بمعركة الدم في العام ١٨٣٨ التي مني الهولنديون فيها بالخسائر الجسيمة الامر الذي دفع البريطانيين الى التدخل لصالح الهولنديين ومدهم بالمساعدة لتحقيق النصر على قبائل الزولو (٥)(دونالد ويرنر، ص ٢١٠)

وفي العام ١٨٥٢ - ١٨٥٤ اعترفت الحكومة البريطانية بالجمهوريتين في كل من الاورنج والترنسفال واعطتهما الحكم الذاتي تحت زعامة البويرز(٦)(جلال يحيى ، ١٩٨٤، ص ٢٧٤) .

وخلال العام ١٨٦٩ تم اكتشاف الماس في مدينة كمبرلي ضمن حدود دولة الاورنج الحرة ، وتلاها اكتشاف مناجم الذهب في العام ١٨٨٥ في مدينة جوهانسبرج ، وهذا لم يكن في حسابان البريطانيين، حيث بدأت الحياة الاقتصادية بالانتعاش في هذه المناطق وبدأت بريطانيا تتقرب انضمام هاتين الجمهوريتين الى مملكتها ، اما البويرز الهولنديين فقد اتبعوا سياستهم المعهودة في جعل الافريقيين عبيدا لهم واستغلاهم للعمل باجور بخسة في مناجم الذهب والماس زفي سكك الحديد والطرق والجسور ، وذلك بلاستيلاء على ارضيهم واضطرارهم بالتالي الى الهجرة الى المدن للعمل في تلك المناجم ، لقد وطد الاوربيون اقدامهم في جنوب

افريقيا باتباع اسلوب التمييز العنصري وخاصة الهولنديون الذين عرفوا بتزمتهم وانغلاقهم فنظروا الى ابناء قبائل البوشمن والهونتوت نظرة ازدراء وجعلوهم رقيقا لهم ، من هنا بذرت بذور التفرقة العنصرية واستمرت يوما بعد اخر في شدتها وخاصة في عهد الرئيس البويري كروجر عندما حدد مناطق خاصة لاقامة السكان الاصليين واتبع اسلوب المعازل التي تطورت فيما بعد حيث حددت نسبة ١٦% من مجموع مساحة الترنسفال لسكن حوالي ٧٠% من السكان بالاصليين ومنعهم من مغادرتها الا للذهاب الى العمل في المدن الصناعية ، كان ذلك بعد اكتشاف الثروة المعدنية (١) (نوري السامرائي ، ص ٧٧).

وبطبيعة الحال بدأت جحافل البريطانيين تتجه نحو الاقسام الشمالية للاستيلاء على هذه الثروة التي لاحدود لها من خلال ضمها الى مستعمرة الكاب ، مما ادى الى حرب دامية ما بين البوير والبريطانيين كان نتيجتها هزيمة البريطانيين امام البويرز في موقعة ماجوبا وتوقيع معاهدة برتيوريا عام ١٨٨١ تعهدت فيها بريطانيا بعدم التدخل في شؤون البويرز وان سيطرتها ستكون اسمية (٢) (الصقار، ص ٢٧١).

لكن المشكلات والاضطرابات ظلت مستمرة ما بين الطرفين حاولت بريطانيا من جانبها ان تحل المشكلات المتعلقة بما يخدم مصالحها ، من خلال ضم المقاطعات الاربع وبشكل سلمي ولكن دون جدوى ، اذ اقترحت بريطانيا عقد مؤتمر في مدينة بلومفونتين في ٢١ مايس ١٨٩٩ ينوب عن الجانب الهولندي الرئيس كروجر والسيد الفردملنر عن الجانب البريطاني انذاك ، لكن المؤتمر فشل ولم يتوصل الجانبان الى حل يرضي الطرفين ، مما زاد في تعنت الهولنديين واصرارهم على اعلان الحرب ضد بريطانيا (٣) (زاهر رياض ، ١٩٦١، ص ٥٧).

وفي تشرين الاول ١٨٩٩ وجه الرئيس كروجر الانذارا للبريطانيين بوقف كل نشاطاتهم العسكرية المتجهة نحو ضم جمهورية الترنسفال لكن البريطانيين لم يابها لهذا الانذار واستمروا في عملياتهم العسكرية ، مما حدا بالرئيس البويري الى البدء بالهجوم بعد يومين من الانذار (٤) (جديون س.وير ، ١٩٨٦، ص ١٨٤).

وكانت الكفة في صالح البويريين في بادىء الامر اذ توالى الانتصارات الوحدة بعد الاخرى ، وذلك بالهجوم المباشر على المدن البريطانية والاستيلاء عليها وطد البريطانيين الدخلاء عليهم فهم (احق بجنوب افريقيا منهم) هذا طبعا من وجهة نظر البويريين دون اي اعتبار لسكان البلاد الاصليين ، لكن الامور انقلبت راسا على عقب واصبحت كفة الميزان لصالح البريطانيين ، حيث تمكنوا من زيادة تحصيناتهم العسكرية ، ومد قواتهم بالاسلحة والعتاد بما مكنهم من مهاجمة البويرز ومباغتتهم ، ومن ثم استسلامهم وخاصة بعد فقدهم رئيسهم كروجر في اثناء الحرب اذ هرب الى هولندا (٥) (رياض زاهر ، ص ١٨٦).

وفي العام ١٩٠٢ سجل البريطانيون نصرا حاسما على البويريين على وفق شروط املتتها بريطانيا على اعدائها لتحقيق صلح فيرنجينج (١) (رياض زاهر ، ص ٨٠-٨١).

وبعد ان وضعت الحرب اوزارها صرح بلفور في مجلس العموم البريطاني :

((بانه سيتمنح البيض حقوقا مساوية للبريطانيين في المستعمرات الجديدة في جنوب افريقيا دون الافريقيين)) (٢) "Colin Legum, 1967, p.334"

حاولت بريطانيا من خلال هذا التصريح ارضاء البويرز الهولنديين على حساب السكان الاصليين من الافريقيين ، وتحقيق الوئام والسلام معهم على ارض اغتصبوها بالقوة من ايدي سكانها الاصليين .

وفي العام ١٩٠٦ منحت الحكومة البريطانية الحكم الذاتي الكامل لكل مستعمرة من المستعمرات الاربعة فهي حرة كاملة في تصريف شؤونها مع بقائها تابعة لوزارة المستعمرات البريطانية ، وفي العام نفسه صدرت اللائحة الكمركية الخاصة بحماية البضائع البريطانية ولكن سرعان ما ظهر الخلاف بين هذه المستعمرات حول مسألة تطبيق اللائحة (٣) (نوري السامرائي ، ص ٧٩) .

ونتيجة كثرة الخلافات والمشاحنات بين هذه المستعمرات فكرت وزارة المستعمرات وبشكل عملي بتشكيل اتحاد يضمن وحدتها السياسية والاقتصادية بالدرجة الاولى .

ففي العام ١٩٠٨ تم اعداد مسودة الدستور الخاص بجنوب افريقيا كي تكون المستعمرات الاربعة - الراس - ناتال - الاورنج - والترنسفال - خاضعة للتاج البريطاني وبشكل مباشر ، وبعد مداولات ومناقشات استمرت مابين عام ١٩٠٨ - ١٩٠٩ تم سن قانون اتحاد جنوب افريقيا ، والذي اصبح ساري المفعول في ١٣ مايس ١٩١٠ وتم الاعلان عن مولد اتحاد جديد وحكومة جديدة برئاسة الجنرال بوثا رئيسا للوزراء (٤) (زاهر رياض ، ص ٨٥) .

وبذلك اصبحت الولايات الاربعة وحدة متماسكة يحكمها حاكم عام تعينه بريطانيا يملك كل سلطات الملك وتخضع للتاج البريطاني ولكنها في الوقت نفسه لا تتسم بالسيادة الكاملة على اراضيها ، ذلك ان القوانين والتشريعات البريطانية كانت نافذة المفعول على جنوب افريقيا ، فالملك ووزراؤه وحدهم هم الذين يقررون مستقبل اتحاد جنوب افريقيا في امور الحرب والسلام ، وعقد المعاهدات والمحالقات وتحديد علاقاتها الخارجية (٥) (زاهر رياض ص ٨٦) .

وتألف برلمان افريقيا الجنوبية في العام ١٩١٠ من مجلسين الاول اطلق عليه (بيت الجمعية) او مجلس النواب ، وكان يتكون من (١٦٦) عضوا يتم انتخابهم بطريقة الاقتراع المباشر (٦) منهم ممثلون عن ناخبي افريقيا الجنوبية الغربية ، ومجلس الشيوخ وكان يتكون من (٥٤) عضوا وكانت مدة العضوية حوالي خمس سنوات ، وتقتصر على المنحدرين من اصل اوروبي ، واما التصويت فمقتصر على الاوروبيين البيض ايضا .

وعن طريق هذين المجلسين يتم انتخاب رئيس الدولة (الحاكم العام) في جلسة مشتركة للمجلسين كل سبع سنوات ، وكان الموقع في مدينة الكاب .

اما النظام القضائي فكانت توجد محكمة عليا لكل جنوب افريقيا تسري احكامها على بقية محاكم الولايات ، وكانت مدينة بلومفونتين مركزها الرئيس (١) "The Encyclopedia Americana , Vol.25, p.277"

وفي ظل هذه الاوضاع كان سكان البلاد الاصليون محرومين من ابسط حقوقهم السياسية الا قلة قليلة منهم كانت تتمتع ببعض الحقوق في مدينة الكاب ، فهذا من حق الرجل الابيض فهو الاعلى والارقى جنسا وحضارة في نظرهم (٢)(نوري السامرائي ، ص ٨٠).

المبحث الثالث : الاطماع الاجنبية في مجال الصناعة والتعدين

في نهاية القرن التاسع عشر بدا تدفق البريطانيين على المناطق الشمالية في جنوب افريقيا وخاصة بعد اكتشاف الثروة المعدنية من الذهب والماس للحصول على ارباح طائلة لها . وقد تمخضت اطماع بريطانيا في استغلال مناجم الذهب والماس عن تاسيس شركة للذهب واخرى للماس ، وكان يرأسها في ذلك الوقت الشخصية البريطانية سيسل رودس ، وقد تاسست اول شركة للتعدين في العام ١٨٨٠ وكانت تدعى شركة دي بيرز (٣)(الجمال ، ص ٢٧).

وفي العام ١٨٩٣ تمكن سيسل رودس من ضم ارض المتابيلي والتي سميت بروديا الجنوبية بعد حصوله على موافقة ملكها لوبيجولا (وافق مكرها) وتاسيس شركة جنوب افريقيا (٤)(عبد الفتاح ابراهيم ، ل.ب. ص ٢٢٨) .

لقد ارست بريطانيا قواعدها التجارية في جنوب افريقيا بالاتفاق مع ابناء عرقها الابيض من البويرز الهولنديين على استغلال الثروة المعدنية الموجودة فيها لصالحها وتسخير اليد العاملة الافريقية وبابخس الاثمان مما ادى الى وقوع سكان البلاد الاصليين من الافريقيين فريسة الجشع والطمع الاستعماري ، والذي لا حدود له وخاصة من جانب بريطانيا التي احتفظت بالجزء الاكبر من احتكار مناجم الذهب والماس ، والاحتفاظ بالسلطة السياسية ، وعلى الرغم من مشاركة البويرز الهولنديين في الحكم (٥)(والتر رودني، مجلة المعرفة، العدد ١٣٢، ١٩٨٨، ص ٢٧٩) .

وقد ادى الامر الى دخول عناصر احتكارية جديدة في ميدان الاستثمار والتجارة مع جنوب افريقيا وخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، فمنذ ان اكتشف الذهب والماس تكالبت الدول الاستعمارية على السيطرة على اهم معدنين في العالم الا وهما الذهب والماس.

فوجدت الولايات المتحدة تقف تارة بجانب بريطانيا عشية الحرب البويرية وتارة اخرى بجانب البويرز الهولنديين ، وذلك في اولى مراحل الاستقرار السياسي تدفعها مطامعها ومصالحها التجارية بالدرجة الاساس (١)(عصام الدليمي ، رسالة دكتوراة ، ٢٠٠٠، ص ٥٦) .

ان شركة جنوب افريقيا التي اسسها رودس كانت سببا رئيسيا في تاسيس عدد من الشركات الاجنبية التي امتدت اطماعها الاستعمارية للسيطرة على اقتصاد جنوب افريقيا وبشكل كامل . وكان من اهمها شركات مستر هاري فردريك اوبنهم الذي كان يتولى رئاسة سبعين شركة ، وكان يطلق عليه بملك مناجم جنوب

افريقيا ويسيطر على هذه الشركات شركة جنوب افريقيا الانكليزية الامريكية وشركة مناجم ذهب جنوب افريقيا المتحدة والتي يتفرع منها عدة فروع .

لقد اكدت الاحصائيات ان ٥٠% من راس المال الاجنبي المستثمر في القارة الافريقية موجود في جنوب افريقيا ، حيث بلغت نسبة الاستثمارات البريطانية ٢,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار بينما بلغت نسبة الاستثمارات الامريكية حوالي ٨٤٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار في الستينات .

وقد بينت الحكومة الامريكية في احصاء لها عام ١٩٥٧ بان اكثر الاماكن ربحا هي مناطق التعدين بجنوب افريقيا حيث فاقت ارباحها ارباح اي عملية مشابهة في الولايات المتحدة ، وقد عزت الحكومة الامريكية سبب المردود الاقتصادي العالي في جنوب افريقيا الى توفر اليد العاملة الافريقية فضلا عن رخصتها . ووفقا لاحصائيات عام ١٩٦٢ كانت اجرة عامل المنجم الامريكي في الساعة هي ٢,٧٠ دولار ، وهذه الاجرة عبارة عن ٢٧ ضعفا لاجرة العامل الافريقي (٢) (كوامي نكروما، ١٩٦٦ ، ص١٣٧- ١٣٨) . وتجدر الاشارة الى تزايد ارباح نسبة الاستثمارات الامريكية في جنوب افريقيا خلال الاعوام ١٩٥٨ - ١٩٦١ من (٣٠٠) مليون دولار الى اكثر من (٥٠٠) مليون دولار سنويا . وهذا يدل دلالة كبيرة على ان جنوب افريقيا كانت مستودع الارباح الكبيرة التي يقل مثيلها في العالم (٣) (عصام الدليمي ، ص ٦٣) .

لقد ادى الوضع الاقتصادي السيء الى هجرة اعداد كبيرة من الافريقيين من الريف الى المدينة للعمل في المناجم وباجور وقتية وبعد انتهاء العمل يترتب عليهم العودة الى الريف ثانية . وجندت الشركات الاحتكارية اليد العاملة ليس فقط من جنوب افريقيا ، وانما من باقي المناطق الافريقية المجاورة بما يعرف ب (ملاوي وليسوتو وسوزيلاند وبتسوانا وموزمبيق) .

كان العمال يتلقون اجورا منخفضة جدا وكان اصحاب المناجم يزعمون ان لدى العمال بيوتنا خاصة بهم في الريف فهم ليسوا بحاجة لدعم عوائلهم (٤) "Mai Palmberg, 1983, p.244"

ان اهم مايميز جنوب افريقيا اقتصاديا هو مناجم الذهب واليورانيوم والحديد والاسبستوس والفحم التي تكون الاساس الذي ترتفع فوقه امبراطورية اوبنهمر (١) (كوامي نكروما ، ص ١٥٥) .

فلقد بلغت صادرات جنوب افريقيا من المعادن الثمينة وخاصة الذهب حوالي ٧٠% من الانتاج العالمي ، فهي تحتل المرتبة الاولى في انتاج الذهب عالميا، والمرتبة الثالثة في انتاج الماس حيث تنتج ٩ ، ٩١% بعد دولتي روسيا والكونغو ، والمرتبة الاولى في انتاج الكروم واليورانيوم حيث تنتج ٣٤,٨% من الانتاج العالمي بالنسبة للاولى ، والثانية ٤٠٠٠ طن متري سنويا في انتاج ٣,٥% من الانتاج العالمي للفحم ، و ٢٥% من انتاج المنغنيز العالمي، ٣,٤% من الانتاج العالمي للحديد (٢) (البغدادي ، محاضرات ، ص ٢) .

المبحث الرابع : تعاقب حكومات الاقلية البيضاء

ارتبط تاريخ الاتحاد بعد انبثاقه في العام ١٩١٠ بتاريخ خمسة زعماء هولندي الاصل وهم بوثا ، وسمطس ، وهرتزوج ، ومالان ، وستريجدوم ، وقد اشترك الثلاثة الاوائل في حرب البويرز ضد بريطانيا عام ١٨٩٩ - ١٩٠٢ (٣) "John Gunther , 1955,p.447"

وبعد انتهاء الحرب دعا بوثا وسمطس الى التقرب من بريطانيا ومن ثم الاشتراك بوضع اسس وبرامج الاتحاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل دائرة الكومنولث البريطاني (٤) (عبد الله عبد الغني ، ١٩٦٢ ، ص ٢٤٣).

وفي عام ١٩١١ اسس الزعماء الثلاثة الاوائل حزبا يدعى بحزب جنوب افريقيا (٥) "Africa World,1960,p.8"

وفي ٧ كانون الثاني ١٩١٤ اسس الحزب الوطني على اثر ازمة عرفت بازمة هرتزوج (٦) "D.W.Kruger,pp . 68- 69"

'حيث اكد الحزب الوطني ان تكون السيادة والسيطرة للبويرز الهولنديين فقط ، في حين اكد حزب جنوب افريقيا (حزب بوثا وسمطس) التعاون مابين البويرز والبريطانيين على حد سواء (٧) (جاك وديس ، ص ٥٢١). "John Cookson,1954,p.173"

وعلى اثر انتخابات العام ١٩٢٠ ازداد عدد اعضاء الحزب الوطني الى (٤٤) عضوا في البرلمان من اصل (١٣٤) عضوا فيه (١) "Shaun Johnson,1988,pp.209-213"

وفي العام ١٩٢٤ استطاع الجنرال هرتزوج (١٨٦٦ - ١٩٤٢) اعتلاء السلطة (على الرغم من ثورة الجناح اليميني في حزبه) ، وذلك لتعاطفه مع بريطانيا اكثر مما يجب ، وبمساعدة حزب العمال ، والذي كان اغليبيته من الناطقين بالانكليزية (٤) (ابراهيم عبد الفتاح ، ص ٥٤) ، فاز الحزب الوطني ب (٦٣) مقعدا ، والحزب العمالي ب (٨) مقاعد في البرلمان (٢) "Shaun Johnson,p.209"

'وكان اول عمل سياسي ناجح قام به قادة الحزب الوطني هو المساواة مابين اللغة الانكليزية والافريكانية ، ومن ثم الغاء العلم البريطاني ، واختيار علم خاص بجنوب افريقيا (٣) (ابراهيم عبد الفتاح ، ص ٥٤).

بدات انتصارات هرتزوج تتوالى في البرلمان ، اذ فاز الحزب الوطني ب (٧٨) مقعدا من اصل (١٤٨) مقعدا في البرلمان ، وذلك في العام ١٩٢٩ (٤) "Shaun Johnson,p.210"

وبحلول العام ١٩٣١ منحت بريطانيا السيادة الكاملة لجنوب افريقيا ، فهي حرة كاملة في تصريف شؤونها السياسية الداخلية منها والخارجية ، وذلك بعد فيض من المفاوضات الطويلة التي اجريت معها ، فضلا عن الغاء وجود المندوب السامي البريطاني العام في جنوب افريقيا (٥) (عصام الدليمي ، ص ١٠).

وبالمقابل اخذت (وطنية) هرتزوج بالارتفاع ووصلت ذروتها في العام ١٩٣٣ وخصوصا بعد ان كانت البلاد تعاني من وضع اقتصادي قاس جدا اثر الازمة الاقتصادية العالمية ، مما ادى ب (حزب هرتزوج) الى الدخول في اتحاد مع حزب سمطس وتكوين حزب جديد عرف بالحزب المتحد في محاولة للخروج من المازق الذي تعانيه البلاد (٦) "Gwendolen,1963,p.485"

وفي الوقت ذاته ظهرت الى الوجود شخصية سياسية تركت اثار عميقة في نفوس الافريقيين سكان البلاد الاصليين هو د. دانيال مالان (١٨٧٤ – ١٩٥٩) الذي كان عضوا في مجلس الوزراء، فقد كان من اكبر المتعصبين لسياسة التفرقة العنصرية ما بين السود والبيض ، لذا فهو يعد المؤسس الحقيقي لسياسة التفرقة العنصرية ، واحد الذين رسخوا عقيدة الافريكانرز ، وذلك بوصفهم شعب الله المختار وبأنهم الجنس الارقي والارفع في العالم ، مما ادى الى انشقاكه عن حزب هرتزوج وتكوين حزب جديد عرف ب (حزب التطهير الوطني او التصفية الوطنية).

ولكن سرعان ما تصدعت الحكومة الائتلافية ما بين هرتزوج وسمطس لاختلافهم حول الدخول في الحرب العالمية الثانية، فلقد كان هرتزوج ينادي بالحياد ، اما سمطس فكان من مناصري بريطانيا والدخول الى جانبها .

وفي العام ١٩٤٠ عاد هرتزوج مرة ثانية للالتحام مع حزب مالان ، والدخول في سياسة واحدة مما ادى الى عودة الحزب الوطني بكامل قوته (١)

"Collins Concise,1985,p.353"

كان البيض في انشطار دائم على انفسهم سواء كانوا من الانكليز او الافريكانرز. فلقد اثر الافريكانرز على الدوام اتباع سياسة الحياد وعدم زج جنوب افريقيا خلال الحربين العالميتين (١٩١٤ – ١٩١٨) و (١٩٣٩ – ١٩٤٥) فضلا عن رفضهم لجميع السياسات المحلية المرتبطة بالسيادة البريطانية ، ونزعتهم نحو تحقيق الجمهورية . اما البريطانيون الناطقون بالانكليزية فلقد كانوا على طول المسار الى جانب مملكتهم البريطانية ، محافظين على ولائهم لها، وذلك باشتراك جنوب افريقيا ضمن كل امكانياتها الطبيعية والبشرية الى جانبها (٢) "African Affairs,Vol.70,p.25"

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية دخلت البلاد في وضع اقتصادي سيء للغاية ولم تف حكومة الاتحاد بوعودها التي قطعتها للافريقيين نتيجة مشاركتهم في الحرب ، مما ادى الى انهيار حزب سمطس (الحزب المتحد) اثر انتخابات ١٩٤٨ وفوز حزب مالان (الحزب الوطني) باغلبية مطلقة في البرلمان . وبذلك شكل مالان اول وزارة بويرية خالصة حققت امال الهولنديين في اعتلاء السلطة ، وارجاع حقهم المسلوب من البيض البريطانيين .

لكن هذه الوزارة فتحت بابا من ابواب جهنم على سكان البلاد الاصليين في تطبيق سياسة لامثيل لها في العالم ،الاوهي سياسة التمييز العنصري (الابارتيد) وترسيخها شيئا فشيئا من خلال تعاقب الوزارات البويرية ، وكان من نتائجها ذلك ان دخل الافريقيون في ظلام دامس من العبودية والتسلط .

ومن الجدير بالذكر ان الحزب الوطني ، فاز وعلى التوالي في انتخابات الاعوام ١٩٦١, ١٩٥٨, ١٩٥٣ مما ادى الى تثبيت موقعه الرسمي وسياساته العنصرية في جميع انحاء البلاد (٣) 'Gwendolen M.carter,p.487"

المبحث الخامس: البدايات الاولى لتأسيس حزب المؤتمر الوطني الافريقي ANC

تعود بدايات المؤتمر الوطني الافريقي ANC الى العام ١٨٨٢ ، عندما بدا نشاطه السياسي تحت واجهة ، رابطة التعليم الاهلي ، ، وقد قامت الرابطة بالاحتجاج ضد قوانين المرور وكان الاول من نوعه (١) David "L.Niddrie,1968,p.1"

وفي العام ١٨٨٤ تكونت ، ، رابطة الناخبين من الاهالي ، ، للدفاع عن حقوق الافريقيين الانتخابية ، حيث كان بإمكان الافريقيين في ذلك الحين ان يصوتوا في مدينة الكاب (٢) "Ronald Segal,1961,p.428"

ونتيجة لتطور الوعي السياسي لدى الغالبية العظمى من الافريقيين وشعورهم من عدم مساواتهم مع بقية العناصر الاخرى وخاصة الاوربيين ، وهم اصحاب البلاد الاصليون والمالكون الحقيقيون ظهر تنظيم جديد سمي " باتحاد الافارقة" في العام ١٨٨٦ في شرقي الكاب ليقوم بدور المدافع عن حقوق الافريقيين السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

لقد عانى الافريقي من وطأة الاستعمار ، فقد عمد الاوربي وعن قصد الى نهب خيرات بلاده وسلبه حقه في امتلاك الارض من جهة ، ومن حقه السياسي في ممارسة دوره في عملية الانتخاب سواء بالترشيح او التصويت من جهة اخرى . كانت بوادر الحكومة البيضاء واضحة المعالم ، ففي العام ١٨٨٧ قررت الحكومة شطب اسماء ٣٠,٠٠٠ الف افريقي من جداول الكاب ، وكانت غاليتهم الاستحواذ على اراضي الافريقيين ، ولكن الافريقيين لم يستكينوا لهذا القرار فقاموا بحركة احتجاج قوية شملت الكاب ، وقد ذكرت صحيفة (ايمقوزابانت سوند) وهي اول صحيفة سياسية انشئت في العام ١٨٨٢ تقول في افتتاحيتها :

" لم يثر الشعب لانه سلب الحق الانتخابي بالفعل بقدر ما ثار للغض من شأنه وتجاهل حقوقه في الارض . وان الشعب ليعلم ان هدف الحكومة هو تمهيد الطريق بواسطة سلب الحق الانتخابي لان تتصرف الحكومة حسب مشيئتها في حقوق وامتيازات المواطنين ولا سيما حقوقهم في الارض(٣) (لطي جعفر فرج ، ١٩٨٦ ، ص ١٣).

لقد اسفرت عدة عوامل في تطور الوعي الوطني والسياسي في جنوب افريقيا ، والتي ادت فيما بعد الى تأسيس المؤتمر الافريقي ، فمجيء المسيحيين الى جنوب افريقيا قاد الى ظهور المسيحيين السود ، الذين رفضوا فيما بعد القيم المسيحية للبيض ، واسسوا كنائسهم الخاصة بهم ، مع تقاليد وعادات وقيم جديدة ،

وكان نهيميا تايل هو الاول من هؤلاء الذين تحولوا من السود لغرض تشكيل كنيسة مستقلة ، وقد لعب دورا سياسيا ودينيا بارزا . كما كان لظهور المفكرين الافريقيين الذين جاؤا من مدارس الارسلالات التبشيرية التي اسست في انحاء البلاد الاثر الفعال في تاسيس البدايات المبكرة والتي تطورت فيما بعد الى انشاء صحافة افريقية مستقلة ، فقد كتبوا مقالات في اللغات الانكليزية والافريقية ، والتي ساعدت في تطوير وتجديد اللغات الافريقية (١) www.The MayibuyeCenter,AshortHistory,Inteoduction ,1982,p.1

ومع بداية القرن العشرين وانبثاق صلح فرنجيح لعام ١٩٠٢ الذي وحد الصف الاوربي ، وتجاوز الخلافات القائمة ما بين الطرفين ، نشطت حركة المقاومة الافريقية للوجود الاوربي ، وكان عليها مواجهة عدوين لا عدو واحد الا وهما البريطاني والهولندي في ان واحد ، فاما ان تنتصر واما ان تستسلم للواقع المرير ، فاختار الافريقي الاسود الطريق الاول الذي يؤدي الى النجاح او الفشل ، وكان لابد من المحاولة وتكررها لنيل الحرية والمساواة مع بقية البشر ، وهنا انتفض الافريقيون بثورة عارمة في ناتال عام ١٩٠٦ وكانت قبائل الزولو في مقدمة الثورة التي قاومت الاستعمارين البريطاني والهولندي في الوقت نفسه وكالعادة تم القضاء على الثورة وبطرق وحشية ، حيث تم تنفيذ حكم الاعدام ب (١٢) شخصا من زعمائها والاستيلاء على اراضي قبائل الزولو (٢) (نوري السامرائي ، ص ٨٠) .

ومع استمرار حركة المقاومة الافريقية ، امتدت تنظيمات الافريقيين السياسية الى باقي انحاء المستعمرات الاربع – ناتال – والترنسفال – والاورنج – والكاب ، حيث ظهر (حزب ناتال الوطني) عام ١٩٠٤ و(حزب الترنسفال) عام ١٩٠٧ (٣) " Ronald Segal,p.428

وتاسست رابطة الامن الاهلية في ترانسكي ، والمؤتمر الاهلي لجنوب افريقيا في غرب الكاب ، ورابطة الامن الاهلية لمستعمرة نهر الاورنج واخيرا اتحاد بابيدي ورابطة باستوتو (٤)(ابراهيم نصر الدين ، ١٩٨٩، ص ٣٥.

كان الهدف من هذه التنظيمات مطالبة حكومة الاتحاد بانصاف الافريقيين ، واعطائهم حقوقهم المشروعة على قدر المساواة مع بقية العناصر الاخرى ولكن دون جدوى .

فقد ارسلت عرائض وشكاوى الى الملك ادوارد السابع من الجمعيات السياسية المتحدة الاهلية لمستعمرة الترنسفال في ٢٥ نيسان ١٩٠٥ ، وقرارات المؤتمر المحلي لجنوب افريقيا في ١٠ نيسان ١٩٠٦ ومؤتمر الاهالي في ناتال في تشرين الاول ١٩٠٨ ، ومن المواطنين الاصليين من الافريقيين الساكنين في مستعمرة الترانسفال في ٢٢ تشرين الاول ١٩٠٨ ، كلها تؤكد حجم المعاناة التي يعانيها الافريقيون من استمرار طغيان الاوربيين البويرز .فقد جمعت هذه العرائض حوالي ٣,٧٦٤ توقيعاً تطالب بقائمة تحدد فيها حقوقهم وامتيازاتهم الاعتيادية كبشر في جميع انحاء جنوب افريقيا ، فضلا عن تمثيل منفصل للجماهير من شعب جنوب افريقيا للذين لا يستطيعون التاهل لذلك .

اعلن دستور عام ١٩١٠ عن حرمان الافريقيين من جميع حقوقهم السياسية في مواطنهم التي عاشوا عليها هم واجدادهم منذ الاف السنين ، وفي ذلك القانون وضعت بذور التفرقة العنصرية القائمة على اللون

واصبحا لاهالي " غير الاوربيين مرغمين على ان يصبحوا مجرد ايد عاملة رخيصة " (١) (محمد عبد العزيز اسحاق ، ١٩٧١ ، ص ٢٣٨)

وهكذا تعاضدت الاقلية البيضاء يدا بيد من بريطانيين وهولنديين متناسين جميع خلافاتهم ونزاعاتهم على تمزيق وحدة الشعب الافريقي ، واستغلال ثرواته وتسخيرها لصالحه بعد تحويل الغالبية العظمى من السود الى ايد عاملة رخيصة كما جاء في دستور الاتحاد لعام ١٩١٠ .

لقد تم توقيع قانون الاتحاد لجنوب افريقيا والذي (مر عبر مجلس العموم البريطاني) في العام ١٩٠٩ ، وصدق عليه برلمان جنوب افريقيا في ٣١ مايس ١٩١٠ وهو يصادف ذكرى معاهدة فرنجيح في ٣١ مايس ١٩٠٢ ، التي وقعت بعد انتهاء الحرب البريطانية البويرية .

وعندما دخل قانون الاتحاد حيز التطبيق فان هذا يعني قمع وكبح حرية الافريقيين السود من اي حركة ، والتنكر لجميع حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية (٢)

"www.The Mayibuye,Ashort History..."

ازاء هذه الاوضاع المتردية والمنافية لجميع الحقوق الانسانية ، وكان الافريقيين ليس لهم وجود على ارض الواقع ، ارض اباائهم واجدادهم ، وكان الارض ارض اوربية بحتة ، وكان الاقلية البيضاء المهاجرة هي صاحبة القرار بحكم التطور والمدنية ، وكان هذا شعارها منذ البداية .

رد الافريقيون ردا حاسما على كل مايجري موحدين صفوفهم ، نابذين خلافاتهم ، عاقدين العزم على تحقيق قدر من المساواة والحرية ، فقد توالى المؤتمرات الافريقية مابين عامي ١٩٠٨ - ١٩٠٩ ، وذلك لبحث مسودة الدستور التي اغفلت جميع حقوق الافريقيين في المستعمرات الاربع ناتال - وترنسفال - والاورنج - والكاب .

لقد اثمرت جهود الافريقيين في انعقاد المؤتمر الاهلي لجنوب افريقيا في العام ١٩٠٩ ، وقد حضره (٦٠) مندوبا منتخبين عن بقية المؤتمرات الافريقية ، حيث اعلنت هجومها على الحاجز اللوني ، وعدم منح الافريقيين حقوقهم السياسية اسوة مع بقية العناصر الاخرى ، وارسلت وفدا الى لندن تطلب فيه تعديل الدستور ولكن دون جدوى (٣) "www.The Mayibuye ,FormationOf The ANC"

ومهما يكن من امر فان تلك المؤتمرات قد وحدت الافريقيين ، واولقت فيهم شعلة الامل في محاولة ايجاد صيغة للتفاهم مع السلطة الاستعمارية ، وهذا دليل على تطور الوعي السياسي لدى الافريقيين عامة ، متوجين جهودهم بايجاد منظمة سياسية تجمع الافريقيين في بودقة واحدة تطالب بحقوقهم المشروعة ، وقد افلحت جهودهم بانعقاد المؤتمر الاهلي لجنوب افريقيا عام ١٩٠٩ ، والذي اسفر عن تكوين المؤتمر الوطني الافريقي African National Congress للعام ١٩١٢ ويرمز له ب ANC .

تأثر قادة المؤتمر الوطني الافريقي الاوائل ولمدة طويلة من الزمن بافكار المهاتما غاندي واتباع سياسة اللاعنف بحكم وجود الهنود في جنوب افريقيا في ذلك الحين، وهذا اعطى المهاتما غاندي شعبية واسعة ليس في الهند فقط وانما في جنوب افريقيا ايضا .

ظل المؤتمر الوطني ولسنوات عديدة تحت سيطرة المحامين ، ورجال الدين المسيحيين ورجال الصحافة ، وكانت اهدافهم المعلنة مطالب وطموحات السكان الاصليين ، حيث تتوخى استقطاب ومؤازرة الاوربيين المتعاطفين مع قضيتهم وتشجيع الوحدة بين الافريقيين بالطرق الدستورية (١)

“Philip Cuetin,1978,p.490”

ان اهم ما دعا اليه حزب المؤتمر الوطني الافريقي خلال دستورهِ الاول هو تأكيد مبدا الوحدة الوطنية بين القبائل ونبد الخلافات ،وتجاوز الولاءات القبلية ، التي حاول المستعمرون استغلالها لتفتيت وحدة الشعب الافريقي (٢) (وليد محمود عبد الناصر ، مجلة السياسة الدولية ، ١٩٩٤ ، ص٤٩).

كانت غاية المؤتمر الوطني انشاء امة موحدة ومتجانسة ضمن اطار ديمقراطي ينتج عنها انصهار جماعات متناحرة ومفككة عرقيا واجتماعيا تعودت على التعامل فيما بينها من خلال اتباع اسلوب العنف والقتال (٣)(البرت لوتولي ، ١٩٦١ ، ص٤٤).

لم تمضي مدة طويلة على تاسيس المؤتمر الوطني حتى اصدر صحيفة ناطقة باسمه ، كان اسم الصحيفة التي ظهرت هي (ابانتو – باثو) وتعني صحيفة الشعب ، وكانت تنشر باللغة الانكليزية وبثلاث لغات افريقية(٤) (لطفي جعفر فرج ، المؤتمر الوطني الافريقي ، ص١٢٩-١٣٠).

اما فيما يخص الوسائل الدستورية التي اعتمدها المؤتمر الوطني خلال المرحلة الاولى من تاسيسه ،فانه لجأ الى استخدام اسلوب اللاعنف في تحقيق المطالب الوطنية من خلال اتباع الوسائل الدستورية ، التي تدعو الى استخدام اسلوب الحجة والدليل والبرهان ، وتقديم العرائض والمقترحات وارسال الوفود الى حكومة جنوب افريقيا ، والى لندن بغية اقناع السلطات الحاكمة بحقوق الافريقيين المشروعة (٥) (نعيم قداح ، ١٩٧٥ ، ص٦٤).

واما دستور المؤتمر الافريقي فكان دائم التغيير وخاصة في السنوات الاولى من تكوينه (١٩١٤ ، ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، ١٩١٧) ولم يستقر الدستور الا في العام ١٩١٩ ، حيث اكد دستورهِ الاول على الوقوف ضد سياسة التمييز العنصري ، وازالة (حاجز اللون) في التعليم والسياسة والصناعة والتمثيل في البرلمان وازالة كل شكل من اشكالها، وذلك لان الافريقي عانى من اساليب الظلم والجور التي تتبعها السلطات الحاكمة تجاهه عن طريق ممارسة تلك الاساليب (٦)

“www.anc.org.za,Constitution Of The South Africa...,1919”

لم تقتصر اهداف المؤتمر على المستوى الوطني وانما تعداه الى المستوى القومي للقارة الافريقية جمعاء ، فلقد اكد دستورهِ الاول لعام ١٩١٩ المبادئ الرفيعة والاساسية للوحدة الافريقية (وعلى مستوى القارة الافريقية) ، ففي العام ١٩٢١ حضر المؤتمر الوطني الافريقي (المؤتمر الثاني للحركة الافريقية الشاملة)

حاول المؤتمر الوطني من جانبه تطبيق المبادئ الأساسية لفكرة الافارقة الشاملة من خلال ايجاد اجتماع كبير (على مستوى القارة) لممثلين افارقة وصفه (بأنه حيوي اذا ما اراد الانسان الاسود ان يتحاشى العبودية من الكاب الى القاهرة).

لقد ربط حزب المؤتمر الوطني الافريقي كفاحه النضالي من اجل الحرية مع بقية العالم الافريقي ، عالم المستعمرات الافريقية من اجل التعاون فيما بينها نحو مقاومة الاستعمار باشكله كافة ، وهذا يعد تغييرا في مسار سياسة المؤتمر الوطني الافريقي ، حيث لم يعتمد على ارسال الوفود الى لندن ، وانما على اتحاد مفتوح مع باقي الشعوب المستعمرة في انحاء العالم كافة (١)

“www.The Mayibuy ...,Unity and Stuggle”

وهكذا نجح المؤتمر الوطني في ان يوطد استنظيمه الجديد وقد فتح باب عضويته لفئات الشعب الافريقي كافة ، الذين تهمهم قضية بلادهم الوطنية في تحقيق الحرية والمساواة مع بقية البشر ، دون ادنى تمييز او تفرقة عنصرية وهذا ما هدف اليه المؤتمر الوطني الافريقي .

الاستنتاجات:

نخلص من هذه الدراسة الى مايلي :

١ – ان دولة جنوب افريقيا دولة متميزة في موقعها الجغرافي بحكم وقوعها في اقصى القارة الافريقية ، مما جعلها مطمعا للغزوات الاجنبية من خلال الشركات التجارية الاستعمارية البرتغالية والهولندية والانكليزية ، لايجاد اقصر الطرق الموصلة للهند .

٢ – تميزت دولة جنوب افريقيا بكثرة خيراتها من مواد اولية وطبيعية ، وهذا الامر ادى الى التنافس الاستعماري الكبير والصدام المسلح بين الهولنديين والبريطانيين للسيطرة على موارد الدولة ، وخاصة بعد اكتشاف اهم معدينيين في العالم الا وهما الذهب والماس .

٣ – لم يكن اي دور للسكان الاصليين من الافريقيين في الحياة المدنية والسياسية والاقتصادية في حكم بلادهم ، واقتصر الامر على الاوربيين من الهولنديين والبريطانيين ، من خلال التحالف بينهما وتشكيل حكومات الاقلية البيضاء دون اعطاء اي حق للافريقيين في الترشيح او التصويت او الانتخاب وخاصة بعد تاسيس اتحاد دولة جنوب افريقيا عام ١٩١٠ .

٤ – تطور الوعي الوطني الافريقي ، نتيجة الظلم والجور والطغيان الذي وقع على كاهل الافريقيين ، وهذا الامر قاد الى تاسيس اول حركة سياسية وطنية، تمثل اطياف الافريقيين جميعا ، الا وهي المؤتمر الوطني الافريقي في العام ١٩١٢ ليقود حركة النضال ضد سياسية التمييز العنصري التي بذرت بذورها بعد تاسيس الحكومات البيضاء في الدولة .

٥ - اتبع المؤتمر الوطني الافريقي اسلوب اللاعنف في المراحل الاولى من كفاحه من اجل نيل الحرية والمساواة والعدالة ، اهداء بسياسة المهاتما غاندي بحكم وجوده في الدولة ، من خلال اتباع الوسائل الدبلوماسية والسياسية لنيل الحقوق المشروعة .

المصادر العربية والمترجمة :

ابراهيم عبد الفتاح خليفة ، التفرقة العنصرية في جنوبي افريقيا ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

ابراهيم نصر الدين ، حركة التحرير الوطني لجنوب افريقيا ، دار المستقبل العربي ، اتحاد المحامين العرب ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

البرت لتولي ، دع قومي وشانهم ، ترجمة حسين الحوت ، مراجعة حمدي حافظ ، العدد (١١) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لامدينة ، ١٩٦١ .

جاك وديس ، جذور الثورة الافريقية ، ترجمة احمد فؤاد بلبع ، مراجعة عبد الملك عودة ، الهيئة المصرية العامة للنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ .

جديون س . وير ، تاريخ جنوب افريقيا ، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، دار المريخ للنشر ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٩٨٦ .

جلال يحيى ، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، المطبعة العصرية ، مصر ، ١٩٨٤ .

دونالد ويرنر ، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، ترجمة راشد البراوي ، مكتبة الوعي العربي ، لاتاريخ .

دون فيرست ، افريقيا الجنوبية الغربية مستعمرة التفرقة العنصرية ، ترجمة عبد السلام شحاته ، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

زاهر رياض ، جنوب افريقيا دراسة سياسية واقتصادية ، جامعة القاهرة ، ط١ ، ١٩٦١ .

شوقي الجمل ، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧١ .

عبد الرزاق مطلق الفهد ، حركة التحرير الوطنية الافريقية من بداية وصول السيطرة الغربية حتى الاستقلال ، مطبعة جامعة الموصل ، بغداد ، ١٩٨٥ .

عبد السلام البغدادي ، اوراق افريقية ، العدد (١) ، السنة الاولى ، مركز الدراسات الدولية ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ايار ، ١٩٩٩ .

عبد السلام البغدادي ، محاضرات عن جمهورية جنوب افريقيا ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ .

عبد السلام البغدادي . الاقليات اليهودية في افريقيا غير العربية في مجموعة من الباحثين ، الوحدة الوطنية ومشكلة الاقليات في العالم الثالث ، مركز دراسات العالم الثالث ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .

عبد العزيز كامل ، قضية التفرقة العنصرية واثارها الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (٧) ١٩٦٧ .

عصام عبد الحسين نومان الدليمي ، الولايات المتحدة الامريكية ودولة جنوب افريقيا ١٩٤٥ - ١٩٨١ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ .

عبد الله عبد الغني خلف الله ، مستقبل افريقيا السياسي ، ط٢ ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، مصر ، ١٩٦٤ .

غي دو بوشير ، تشريح جثة الاستعمار ، ترجمة ادورد الخراط ، دار الاداب ، بيروت ط١ ، ١٩٦٨ .

فؤاد محمد الصقار ، التفرقة العنصرية في افريقيا ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٢ .

كوامي نكروما ، الاستعمار الجديد اخر مراحل الامبريالية ، ترجمة عبد الحميد حمدي ، دار القاهرة للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٩٦٦ .

لطف جعفر فرج ، سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا ومواقف العراق منها ، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ، الجامعة المستنصرية ، دراسة رقم (١٣) ، ١٩٨٦ .

لطف جعفر فرج ، المؤتمر الوطني الافريقي ودوره في قيادة النضال العنصري في جنوب افريقيا، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٤ ، السنة ١٣ ، بغداد ، ١٩٨٨ .

محمد عبد الفتاح ابراهيم ، افريقية من السنغال الى نهر جوبا ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، لا . ت .

محمد عبد العزيز اسحاق ، خمسون عاما من النضال الدامي في جنوب افريقيا ، تقديم عبد الملك عودة ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

محمد المنسي قنديل ، حسين لاري ، راس الرجاءهل اصبح صالحا ؟ ، مجلة استطلاع العربي ، العدد ٤٩٧٠ ، ٢٠٠٠ .

نعيم قداح ، التمييز العنصري وحركة التحرير في افريقيا الجنوبية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط٢ ، الجزائر ، ١٩٧٥ .

هاشم خضير الجنابي ، طه حمادي الحديثي ، قارة افريقيا ، دراسة عامة لاقطارها غير العربية ، جامعة الموصل ، ١٩٩٠ .

ولتر رودني ، اوربا والتخلف في افريقيا ، ترجمة احمد القصير ، مراجعة ابراهيم عثمان ، مجلة عالم المعرفة ، العدد (١٣٢) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، ١٩٨٨ .

نوري السامرائي ، النضال الوطني في جنوب افريقيا في القرنين الثامن عشر والتاسع ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (٣١) ، السنة الثالثة عشر ، بغداد ، ١٩٨٧ .

يوسف كمال ، حول القارة الافريقية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

المصادر الاجنبية :

African Affairs ,vol .70 , No .278,Oxford university press, J anuary,1971.

Colin Legum , Africa ahand book , London , 1967.

Collins Concise Lncy, Pereragebook , London , 1985 .

David L.niddrie And G.etzelPearcy , South Africa : Nation Or Nations , London,1968.

D.w.kruger ,M.A,D.Litt , South Africa Parties And Policies 1910 – 1960 , London , 1960.

Gwendolen M.Carter , Five African States, CornellUniversity Press , New York ,1963.

John Gunther , Inside Africa , Hamish Hamilton,London,1955.

Lepoint, Numero 909,22 Fevrier1990.

Mai Palmberg , The Struggle For Africa, Translated By E.M.K Andree , Maipalmberg And Howard Simson, London, 1983.

Philip Curtin And Others,AfricanHistory,Boston – Toronto,1978.

Ronald Segal , Political Africa , Awhos Who Of Personalities And Parties, London, 1961.

Shaun Johnson, South Africa,No Turning Back , London , 1988.

The Encyclopedia Americana, Volume 25 ,1980 .

The World Book Encyclopedia USA, Volume 16, 1962.

منظومة شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

www .themayibuye center ,Ashort history Of The African National Congress “
South Africa” 1912 – 1982.

org.za[www.anc](http://www.anc.org.za)

Constitution OF The South Africa Native National Congress September 1919.